خارج المدارس..
في قلب المخاطر:

أصوات أطفال المهمشين

فهرس المحتويات

مقدمة	3
المنهجية	4
خارج المدرسة	4
في قلب المخاطر	10
أصوات الأمل	14
التوصيات	17
الحواشي	19

شكر وتقدير

تم إعداد هذا التقرير من قبل الاتحاد الوطني لتنمية الفئات الأشد فقراً (NUDP) بدعم من أعضائه في محافظات عدن، لحج، أبين، الضالع، تعز، ومأرب. نتوجّه بالشكر الخاص لجميع الصحفيين العاملين مع الاتحاد ومنصة «صوت المهمشين» الذين قاموا بجمع القصص، ولكل من ساهم في تطوير ومراجعة هذا التقرير.

الاتحاد الوطني لتنمية الفئات الأشد فقراً (NUDP) هو منظمة مدنية تطوعية تأسست عام 2007 بمشاركة أكثر من 150 منظمة مجتمع مدني. يهدف الاتحاد إلى تمثيل فئة المهمشين في اليمن، ومحاربة التمييز، وتعزيز المواطنة المتساوية، من أجل بناء مجتمع ينعم فيه الجميع بالعدالة والكرامة الاجتماعية، بعيداً عن الحواجز الطبقية. كما يسعى لتمكين الفئات المهمشة من نيل حقوقها والمشاركة الفاعلة في الحياة العامة وصنع القرار.

يأتي هذا التقرير في إطار مبادرة لتعزيز قدرات المناصرة بدعم من منظمة «رعاية الأطفال» الدولية، وبتمويل من الإتحاد الأوروبي.

Funded by the European Union

NUDP

Save the Children رعاية الأطفال

مقدمة

المهمشون هم فئة مجتمعية تعاني من التمييز والإقصاء الاجتماعي في اليمن، وغالباً ما يُشار إليهم بلقب أكثر إذلالاً وهو "الأخدام"، وهو مصطلح ينبع من نظرة عنصرية مرتبطة بلون البشرة.[1] ورغم أن نسبتهم تُقدّر بحوالي 10% من سكان اليمن (أي نحو 3.5 مليون شخص)، ولهم جذور تاريخية عميقة في البلاد، إلا أنهم لا يزالون من أكثر الفئات تهميشاً.[2] يعيشون في تجمعات عشوائية، ويعانون من فقر مدقع متوارث، ويتعرضون لتمييز ممنهج يحرمهم من أبسط حقوقهم. كما فاقمت الحرب المستمرة منذ أكثر من عقد معاناتهم،[3] وزادت من تهميشهم.

يعيش أطفال المهمشين في ظروف من الفقر الشديد، محرومين من فرص حقيقية في التعليم والرعاية الصحية والحماية، ما يجعلهم عرضة لدوامة من التهميش الممنهج الذي يسلبهم طفولتهم، ويقوّض مستقبلهم، ويُكرّس دورة متكررة من الإقصاء والإهمال.

يُسلّط هذا التقرير الضوء على قصص أطفال المهمشين من خلال رواياتهم الشخصية. فهو لا يكتفي بتوثيق التحديات التي يواجهونها – كحرمانهم من التعليم ودفعهم إلى الشوارع – بل يسعى أيضاً إلى إيصال أصواتهم وتجاربهم.

لماذا القصص؟

على الرغم من وجود بيانات ودراسات تسلّط الضوء على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها المهمشون، إلا أن الجانب الإنساني خلف هذه الأرقام كثيرًا ما يكون غائباً. فهؤلاء الأطفال يسيرون لساعات طويلة – أحيانًا بمعدة خاوية ودون أحذية لائقة – للوصول إلى مدارس مكتظة، قد يتعرضون فيها للسخرية أو الإهانة. كما أنهم يعيشون في أحياء تفتقر لأبسط الخدمات الأساسية، وتحيط بهم مخاطر العمل المبكر، والزواج القسري، والعنف، والاستغلال من كل جانب.

ورغم كل هذه التحديات القاسية، لا يزال كثير من أطفال المهمشين يتمسكون بأحلامهم. فهم يؤمنون بأن التعليم ليس فقط وسيلة لتحسين حياتهم، بل أداة لرفع شأن أسرهم، وتحقيق مستقبل أفضل لمجتمعهم بأكمله.

المنهجية

يستند هذا التقرير إلى شهادات وقصص 13 طفل من فئة المهمشين، جُمعت من خلال مقابلات شبه منظمة وملاحظات مباشرة أجراها الفريق الميداني. كما تم إجراء مراجعة مكتبية لدراسات وتقارير سابقة، بهدف دعم هذه الشهادات وتوفير صورة أوضح لحجم المشكلة.

حرصنا على الالتزام الكامل بالمعايير الأخلاقية خلال جميع مراحل جمع القصص. وقد تم تغيير الأسماء حفاظًا على خصوصية الأطفال وسلامتهم، كما حُذفت بعض التفاصيل الحساسة المرتبطة بمخاطر الحماية، نظراً للطابع العلني للتقرير وحرصاً على عدم تعريض الأطفال لأي خطر.
كما تم الحصول على موافقة مسبقة من جميع الأطفال وذويهم، وفق مبادئ حماية الطفل، وعلى رأسها احترام إرادة المشاركين ومبدأ "عدم التسبب في الأذى". كما خضع الفريق الميداني لتدريب متخصص في حماية الطفل، وتم تجهيزهم لإجراء المقابلات بطريقة آمنة، تحترم كرامة الأطفال ولا تنتهك خصوصيتهم.

جميع الأطفال الذين شاركوا في هذا التقرير يتلقون حالياً، أو سبق أن تلقوا، أو من المقرر أن يتلقوا دعماً ضمن برامج الحماية. ولم يتطرق التقرير لتفاصيل هذا الدعم، إذ يركز بشكل أساسي على إبراز التحديات التي يواجهها هؤلاء الأطفال واحتياجاتهم الملحة، وليس على الاستجابة المقدّمة لهم.

خارج المدرسة

يواجه أطفال المهمشين بعضًا من أصعب التحديات في الحصول على التعليم. فالفقر الشديد، والنزوح المتكرر، وغياب الوثائق الرسمية، إلى جانب التمييز المجتمعي، كلها عوامل تساهم في حرمانهم من دخول المدرسة. وحتى من يبدأون تعليمهم، غالبًا ما تنقطع دراستهم بسبب النزاع أو الانتقال المتكرر من مكان لآخر.[4]

الغالبية العظمى من المهمشين لا يعرفون القراءة والكتابة. وتشير التقديرات إلى أن 98% منهم لا يكملون تعليمهم، حيث يترك معظم الأطفال الدراسة قبل أن يصلوا إلى الصف الثالث.[5] ووفقًا لمسح أجرته اليونيسف قبل اندلاع الحرب، فإن معدلات التسرب من المدارس بين أطفال المهمشين تصل إلى ثلاثة أضعاف ما هي عليه بين باقي الأطفال في اليمن.[6]

مهما اختلفت الأسباب — من فقر أو نزوح أو عراقيل إدارية أو تمييز — تبقى النتيجة واحدة: أطفال يملكون الشغف بالتعلم لكن تُغلق الأبواب في وجوههم، وأحلامهم تُؤجَّل أو تُسلب. تسلّط القصص التالية الضوء على هذه التحديات كما يرويها الأطفال بأنفسهم.

رانيا، 13 سنة
تعز

"رغم نظرات الشفقة التي أتلقاها، أشعر بالسعادة عندما أذهب إلى المدرسة."

ترتدي رانيا، ذات الثلاثة عشر عامًا، زيًّا مدرسيًا قديماً لم يُستبدل منذ ثلاث سنوات، وحذاءً ممزقًا هو الوحيد الذي تملكه، وتمشي به إلى المدرسة كل يوم. في معظم الصباحات، تغادر منزلها دون تناول الفطور، وغالبًا ما تضطر إلى استعارة الورق من زميلاتها لأن أسرتها لا تملك ثمن الدفاتر. ورغم كل ذلك، تذهب إلى المدرسة بقلب مليء بالإصرار، ولا تزال تشعر بالسعادة حين تذهب، حتى إن واجهتها "نظرات الشفقة" من الآخرين.

تنتمي رانيا إلى أسرة فقيرة في محافظة تعز تكافح من أجل البقاء. ومع عيش أكثر من 80% من سكان اليمن في فقر متعدد الأبعاد،[7] تُعدّ المصاريف الدراسية — التي قد تصل إلى ما يعادل 50 دولارًا أمريكيًا سنويًا لكل طالب — من أبرز العوائق أمام التعليم.[8]

وقد تركت هذه التحديات أثرًا مباشرًا على الأسرة. فقد كانت شقيقتها الكبرى، بيداء، طالبة مجتهدة تحلم بأن تصبح محامية، لكنها اضطرت لترك المدرسة في الصف السادس لأنها لم تعد تتحمل الطرد المتكرر من الصف بسبب عدم امتلاكها قلمًا أو كتابًا. تقول بيداء: "تركت المدرسة لأنني لم أعد أحتمل الإهانة. رؤية زميلاتي بثياب جديدة بينما لا أستطيع حتى شراء فطور أو دفتر واحد كان أمرًا يفوق قدرتي."

تعمل بيداء اليوم في تنظيف المنازل وتتقاضى ما يعادل 30 دولارًا شهريًا، وهو يمثل جزءاً من دخل الأسرة الإجمالي الذي لا يتجاوز 80 دولارًا في الشهر. بينما يبلغ الحد الأدنى لتكلفة السلة الغذائية[9] حوالي 65 دولارًا شهريًا[10] — أي أن دخلهم بالكاد يغطي الطعام، ولا يكاد يكفي لأي شيء آخر، بما في ذلك تعليم الأطفال.

ولتجنّب مصير شقيقتها، كانت رانيا تحاول المساهمة في مصاريف المدرسة من خلال بيع البيض في الحي، لكنها توقفت بعد ارتفاع أسعار البيض نتيجة لانهيار العملة. تقول: "لم أعد أستطيع شراء البيض لبيعه، وأخشى أن ينتهي بي الأمر مثل أختي بيداء."

أما والدهم، منصور، البالغ من العمر 42 عامًا، فيقول: "أنا عاجز. مرضي يمنعني من العمل، وأطفالي يدفعون الثمن." وعلى الرغم من كل شيء، لا يزال يحلم بمستقبل أفضل لأطفاله. ويأمل أن تتمكن رانيا من التمسك بحلمها، وألا "ينطفئ نورها كما انطفأ نور بيداء."

سهام، 8 سنوات
تعز

> أريد أن أتعلم القراءة والكتابة.

غالبًا ما تذهب سهام إلى المدرسة القريبة منها، رغم أنها غير مسجلة فيها، محاولة الدخول. في أغلب الأحيان يُمنع دخولها، ولكن بين الحين والآخر تنجح في ذلك. تتذكر سهام مرة دخلت فيها مع صديقتها منال وكتبت على السبورة داخل الصف. تقول سهام واصفة ذلك: "كان شعورًا رائعًا."

من أكثر اللحظات التي تركت أثرًا عميقًا في نفسها، كانت ذات صباح حين مرت مع والدتها أمام المدرسة. كان الطلاب يؤدون النشيد الوطني في الطابور الصباحي، فتوقفت وراودتها رغبة شديد في اللدخول ومتابعة المشهد. لكنها ما إن اقتربت حتى منعها الحارس قائلا إنها ليست طالبة. حينها، لم تتمالك نفسها و"انفجرت بالبكاء"، كما تروي والدتها.

تم منع سهام من الالتحاق بالمدرسة لأنها لا تملك شهادة ميلاد حيث رفض مكتب التعليم قبولها، كما رفض السجل المدني إصدار شهادة جديدة لها، مؤكدين أن الوثيقة يجب أن تُستخرج من الحديدة — مسقط رأس سهام والمحافظة التي نزحت منها الأسرة منذ سنوات. بسبب استمرار النزاع، وعدم الأمان، وارتفاع تكاليف السفر، لم يتمكن والد سهام من القيام بذلك.

سهام، 8 سنوات، واحدة من بين آلاف الأطفال الذين لا يستطيعون الالتحاق بالمدرسة بسبب عدم وجود وثائق رسمية.

سهام واحدة من أكثر من 1.6 مليون طفل في سن الدراسة يعيشون في نزوح طويل الأمد في اليمن. تشير التقديرات إلى أن 43% من الأطفال النازحين لا يحملون شهادات ميلاد — أي حوالي 688,000 طفل معرضون لخطر حرمانهم من التعليم بسبب مشاكل وثائقهم فقط.[11] استمرار هذا الواقع يهدد بتعميق أزمة الأمية والتهميش لجيل كامل من الأطفال مثل سهام.

حرمانها من فرصة التسجيل في المدرسة يجعل سيام تشعر بالحزن والضيق، خاصة عندما ترى فتيات في عمرها يذهبن إلى المدرسة بينما تبقى في البيت تنظف وتجلب الماء في الصباح. ويتفاقم حزنها عندما تطلب منها صديقاتها القراءة ولا تستطيع.

صَالِح، 9 سنوات
تَعِزّ

“كنتُ أحب المدرسة، لكن بعدما قالوا لي ذلك، لم أعد أرغب في العودة.”

قبل عام فقط، اتّخذ صالح، وهو طفل في التاسعة من عمره، قرارًا يفوق عمره بكثير: ترك المدرسة. كان لا يزال في الصف الأول عندما ناداه زملاؤه في الفصل بـ”خادم” وهي كلمة تُستخدم للإشارة إلى فئة المهمَّشين، وتحمل في طياتها إرثًا من الازدراء الاجتماعي. كما قالوا له ساخرين: “نظّف المدرسة”، في تكرار لصورة نمطية مهينة ترتبط بهذه الفئة.

يتذكر والده تلك الأيام بحزن عميق. ويقول: “لم تكن مجرد كلمة، بل كانت اللحظة التي أدرك فيها أن المدرسة ليست مكانًا آمنًا. خصوصًا بعد أن قدمنا شكوى إلى مدير المدرسة، لكننا قوبلنا بالتجاهل.”

ورغم أن القوانين في اليمن لا تُميز صراحةً ضد المهمَّشين، فإن التمييز ضدهم متجذر في النظام بأكمله، ويشمل البُنى الإدارية والسلطات المحلية والتقليدية.[12]

بالنسبة لأطفال المهمَّشين، يُشكّل التمييز والمضايقات واقعًا يوميًا، يدفع بكثيرين منهم إلى ترك المدرسة. وقد أفاد العديد منهم بتعرضهم لتنمّر والعنف والإذلال، وقد يُطردون من الصفوف أو يُجبرون على تنظيف المراحيض. ويُعد التمييز أحد أكبر العوائق التي تحول دون حصولهم على التعليم[13].

منذ سنوات، توفي طفل آخر من المهمَّشين في فناء مدرسة بتعز، بعد أن رماه أحد زملائه بحجر أصابه في رأسه. يقول والد صالح: “هذا ظلم. كيف يمكن لأيّ أب أن يرسل أطفاله إلى المدرسة في مثل هذه الظروف؟”

عاد صالح إلى المدرسة بمساعدة منظمة دولية غير حكومية. وهو اليوم يحلم بأن يصبح مهندسًا أو طبيبًا. يقول: “أريد أن أساعد عائلتي.”

ويشارك والده هذا الحلم، لكنه لا يزال قلقًا. يقول: “التمييز هو بمثابة إعاقة لأطفال المهمَّشين. إذا أردنا أن نُغيّر نظرة المجتمع، فلا بد أن يبدأ التغيير من المدارس، حيث يُعامَل جميع الأطفال باحترام ومساواة.

وليدة، 13 سنة
مأرب

> **"المدرسة كانت المكان الوحيد الذي أشعر فيه بالأمان."**

رغم أن عمرها لا يتجاوز 13 عامًا، فقد نزحت وليدة عدة مرات، وخسرت منزلها أكثر من مرة. ومع كل ما مرت به، لا تزال تتمسك بأمل واحد: العودة إلى المدرسة حيث تتذكر وليدة تلك الفترة القصيرة التي قضتها في الصف رغم النزوح المتكرر، وتصفها بأنها المكان الوحيد الذي شعرت فيه بـ"الأمان".

عندما وصلت وليدة مع أسرتها إلى أحد مخيمات النزوح في مأرب، أتيحت لها فرصة الالتحاق ببرنامج تعليمي مسرّع بدعم من منظمة دولية، وكانت تلك الفرصة فارقة في حياتها، إذ حصلت على أول شهادة دراسية لها.

تقول بابتسامة: "فرحت كثيرًا عندما استلمت شهادتي".

والدها لاحظ التغيير الإيجابي أيضًا. "الذهاب إلى المدرسة كان له أثر نفسي كبير على أطفالي"، يقول. "بدأوا يشعرون بأنهم أطفال من جديد".

لكن هذا الاستقرار لم يدم طويلًا.

وليدة فقدت حقها في التعليم بسبب النزوح المتكرر الناتج عن نزاع على الأرض.

فقد نشب نزاع على الأرض المقام عليها المخيم، وتحولت تهديدات أحد زعماء القبائل – التي اعتُبرت في البداية غير جدية – إلى واقع مؤلم. يقول والد وليدة: "لم نكن نعتقد أنه سينفذ تهديده، لكنه أحرق المخيم، بما في ذلك مأوانا، ونحن ما زلنا بداخله". لم يصب أحد بأذى، لكن النيران اتت على الشهادات الدراسية التي حصل عليها أطفاله، والتي كدّوا للحصول عليها.

بعد الانتقال إلى مخيم جديد، تمكن الأطفال من استئناف تعليمهم في مدرسة قريبة. لكنهم أُجبروا على المغادرة مجددًا قبل الامتحانات، بعد أن طالب صاحب الأرض باسترجاعها.

في المخيم الثالث، يقول والدها: "أول ما سأله أطفالي حين وصلنا هو: هل توجد مدرسة؟ للأسف، لا توجد. أقرب مدرسة إلينا بعيدة جدًا، وتكلفة المواصلات تصل إلى خمسة أو ستة آلاف ريال.[14] وهذا مبلغ لا يمكننا تحمله".

يوجد 4.8 مليون نازح في اليمن، معظمهم من النساء والأطفال. يعيش 1.6 مليون منهم في مواقع النزوح، وغالبيتهم من المهمشين.[15] ولا تزال التهديدات بالإخلاء القسري من أبرز المخاطر التي تواجه النازحين.[16] ففي محافظة مأرب وحدها، حيث تعيش وليدة، هناك أكثر من 36 موقعًا مهددًا بالإخلاء، ما قد يؤدي إلى نزوح أكثر من 41,000 شخص. وتفاقمت هذه المخاطر مع مطالبة ملاك الأراضي باسترجاعها بسبب زيادة الطلب، والفرص الاستثمارية، وطول فترة الاستخدام دون تعويض.[17]

تشتاق وليدة إلى المدرسة كل يوم. وعندما سُئلت عمّا تفتقده أكثر شيء، أجابت ببساطة: "معلمتي. كانت تحترمني". رغم كل ما مرت به، لا تزال تحلم وليدة بالعودة إلى المدرسة – وأن يتمكن كل طفل من فعل الشيء نفسه."

يختتم والدها قائلاً: "كل ما نريده هو السلام، وأن نعود إلى بيتنا، ليعيش أطفالنا حياة طبيعية ويعودوا إلى مدارسهم".

غادة، 18 عامًا
الضالع

> **"نحن، كمهمشين وكفتيات، لسنا أقل شأنًا من أحد."**

مثل كثير من الأطفال، تحمل غادة عبء الفقر والنزوح والتمييز معًا. لكن هذا ليس كل ما تواجهه. فهي تعيش في قرية نائية وصغيرة نزحت إليها أسرتها قبل سنوات من محافظة الحديدة، حيث تواجه تقاليد وأعرافًا صارمة ومتجذرة تقيد حياة الفتيات بشكل كبير.

تقول غادة إن كثيرين في القرية يعتقدون أن مكان الفتاة هو المطبخ، أو أن عليها الزواج مبكرًا. "إذا عرفت القراءة والكتابة، فهذا أكثر من كافٍ"، هكذا يردد البعض. وعلى مدى سنوات، اعتادت غادة سماع تعليقات تسخر منها مثل: "لماذا تذهبين إلى المدرسة؟ لن تصلي إلى أي مكان. ملابسك ممزقة، ومع ذلك تصرين على الدراسة."

ورغم الألم الذي تسببه هذه النظرة، تصمم غادة على ألا تؤثر على عزيمتها. لقد وجدت طريقتها في الاستمرار. بعد انتهاء اليوم الدراسي، تخرج كل يوم بعد الظهر لرعي أغنام الجيران، مقابل 1500 ريال يمني في اليوم، وهو ما يساعدها على شراء بعض مستلزمات الدراسة. وفي الحقول، تجد وقتًا هادئًا للمذاكرة، بعيدًا عن انتقادات الناس وضغوط القرية.

تمكنت غادة من إنهاء المرحلة الثانوية، وتحلم بأن تصبح قابلة، تمامًا كما كان يتمنى لها والدها الراحل. ورغم أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، إلا أنه شجعها دائمًا على مواصلة التعليم، لأنه – كما تقول – "كان يتمنى لنا ما لم يستطع تحقيقه لنفسه."

تؤكد غادة: "أريد أن أقول إن الله خلق البشر سواسية. نحن، كمهمشين وكفتيات، لسنا أقل من غيرنا. نحتاج فقط أن نثبت ذلك. والتعليم هو الطريق."

Photo: Zaid Shaker / Save the Children

عمر، فتى يبلغ من العمر 13 عاماً، لم يسبق له أن التحق بالمدرسة.. يقول عمر إنه يحب المدرسة ومستعد لبيع دراجته التي يحبها كثيراً فقط ليتمكن من الالتحاق بها.

في قلب المخاطر

عندما لا يكون أطفال المهمشين في المدرسة، تكون الخيارات المتاحة أمامهم شبه معدومة. يُدفع الأولاد والبنات على حد سواء إلى أشكال متعددة من العمل—غالبًا في الشوارع، حيث يجمعون الخردة أو يتسوّلون أو ينظفون الطرقات[18] لمساعدة أسرهم على البقاء. ومع انعدام وسائل الحماية تقريبًا وغياب شبكات الأمان، يتعرضون يوميًا لمخاطر جسدية، وتحرش، واستغلال. وفي المناطق المتأثرة بالنزاع، تتضاعف هذه الأخطار حيث تصبح الذخائر غير المنفجرة، ومواقع النفايات الخطرة، والضغوط النفسية جزءًا من حياتهم اليومية.

لمى، 12 عامًا، وأمل، 10 أعوام لحج

> **"نحن نعمل لأننا مضطرات. نريد الذهاب إلى المدرسة، لكن لا خيار لدينا."**

في منطقة فقيرة وصغيرة بمحافظة لحج، تسير الشقيقتان الصغيرتان، لمى وأمل، صباح كل يوم في الشوارع المغبرة – ليس إلى المدرسة، بل بحثًا في أكوام القمامة والركام عن قطع من البلاستيك والمعادن. تحملان أكياسًا ثقيلة لجمع المواد القابلة لإعادة التدوير لمساعدة والدهما في تأمين لقمة العيش.

كانت عائلة الشقيقتين قد نزحت بسبب النزاع في عام 2017، ومنذ ذلك الحين تكافح لإعادة بناء حياتها وسط الفقر وعدم الاستقرار. أما المنطقة التي تعملان فيها الآن – والتي كانت سابقًا خط مواجهة أثناء القتال – فلا تزال مليئة ببقايا الحرب غير المنفجرة.

تقول أمل: "أشعر بالخوف طوال الوقت وأنا أتجول في المنطقة لجمع الأشياء. أحيانًا أمرّ بجانب أشياء لا أعرف ما هي. كل ما أريده هو أن أهرب."

وتتفق معها لمى" : أنا دائمًا خائفة من أن ينفجر شيء ما. أظل ألتفت حولي، حتى عندما أكون مرهقة."

خوف الشقيقتين في محله، إذ ما تزال بقايا الحرب تُعرض المدنيين في اليمن للخطر. فمنذ بداية عام 2025، قُتل وأُصيب ما لا يقل عن 40 طفلًا بسبب الألغام الأرضية والذخائر غير المنفجرة.[19] وفي العام الماضي، سُجلت 260 إصابة بين المدنيين، وكان الأطفال يشكلون أكثر من الثلث (106 حالات). يبقى اليمن من أكثر البلدان تلوثاً بمخلفات الحرب ويحتاج أكثر من 5 ملايين شخص إلى مساعدة بما يتعلق بمخلفات الحرب والألغام، أكثر من 54% منهم من الأطفال[20].

لا يقتصر اثر ظروفهما على شعورهما بالخوف فقط، بل طال أيضًا تعليمهما، الذي توقف.
تتذكر لمى: "لم أكن أريد أن أتوقف عن التعلم."

وتقول أمل إنها كانت تحب المدرسة لأنها كانت تشعر بالأمان وتلعب هناك. وكانت الشقيقتان تحلمان بأن تصبحا معلمتين.

لم يكن قرار إخراجهما من المدرسة سهلًا على الأسرة. فوالدهما، الذي أرهقته النزوح والظروف الاقتصادية الصعبة، كان بحاجة إلى مساعدتهما لإعالة الأسرة. وكما هو حال العديد من الآباء في ظروف مشابهة، يقول إنه لم يكن لديه "خيار آخر".

جِهاد، 12 سنة
لحج

"أخشى أن يحدث لي ما حدث لأخي."

في محافظة لحج نفسها، يواجه جهاد، ذو الثانية عشرة من العمر، نفس الخوف اليومي الذي تعيشه لمى وأمل، لكن بالنسبة له، هذا الخوف شخصي وأكثر إلحاحًا؛ فقد فقد شقيقه الأكبر عمران أثناء قيامه بنفس العمل.

كان والد جهاد، هاني، يكافح لإعالة أسرته المكونة من ستة أفراد، فأرسل ابنه الأكبر عمران لجمع المواد القابلة لإعادة التدوير. وفي أحد الأيام، صُعق عمران بالكهرباء قرب موقع نفايات تابع لمستشفى، وتوفي على الفور. وبعد شهر واحد فقط من المأساة، حلّ جهاد محلّ شقيقه.

ويقول جهاد، الذي يستهلكه الخوف من أن يلقى نفس مصير شقيقه: "أشعر بالخوف طوال الوقت في الشارع: من التعرض لصعقة كهربائية، أو من أن تدهسني سيارة أو حافلة، أو أن أقع في حفرة." ويضيف: "لكني مضطر للعمل، فلا يوجد من يساعد أبي غيري."

يقول جهاد إنه لا يتوقف عن التفكير في شقيقه. "أفتقده كثيرًا. كنا نفعل كل شيء معًا—نلعب، نأكل، ونقضي الوقت معًا."
ويقول والده هاني: "أخاف على جهاد طوال الوقت... لكن ماذا عساي أن أفعل؟ ليس لدينا شيء نعيش منه سوى هذا العمل. لا يمكننا الاستغناء عن الألفين أو الثلاثة آلاف ريال التي يجنيها كل يوم."

جهاد، 12 عاماً، ينبش في النفايات ويجمع الخردة وسط مخاوف دائمة من الأذى.

مراد، 14 سنة
تعز

> "أخاف دائمًا أن أصدم بسيارة أو دراجة نارية."

كل صباح، ينطلق مراد، البالغ من العمر 14 عامًا، إلى شوارع تعز لكي يكنسها. يقضي ساعات طويلة تحت أشعة الشمس، مستخدمًا يديه العاريتين لتنظيف الطرق.

يقول مراد: "العمل متعب جدًا. أبقى تحت الشمس طوال اليوم، والحرارة شديدة، وأشعر بالإرهاق."
يتقاضى مراد 60,000 ريال شهريًا، ما يعادل حوالي 24 دولارًا، وهو مبلغ بالكاد يغطي جزءًا من النفقات الأساسية لعائلته التي تضم ستة أفراد.

ولا تخلو حياته من الخطر المستمر. يضيف: "دائمًا أخاف أن يصدمني سيارة أو دراجة نارية. قبل أسبوعين دهسوا عامل نظافة آخر."

في جميع أنحاء اليمن، يعمل العديد من المهمشين، بمن فيهم الأطفال، كعمال نظافة في ظروف قاسية وغير آمنة. غالبًا ما يُحرمون من المعدات المناسبة ويجبرون على جمع النفايات بأيديهم، مما يعرضهم لمخاطر صحية جسيمة. الأجور ضئيلة بالكاد تكفي لتغطية تكاليف المعيشة الأساسية، خاصة مع التضخم المستمر. كما تزيد التمييزات من معاناتهم.

رغم ذلك، لا يشعر مراد بالخجل من عمله، قائلاً: "عملي ليس مخزيًا. أنا أخدم بلدي." لكن العبء النفسي لا يزال ثقيلًا عليه. يقول: "عندما أبدأ عملي في الصباح، أرى الأطفال ذاهبين إلى المدرسة وأشعر بالحزن. أتمنى لو كنت واحدًا منهم."

ترك مراد المدرسة في الصف السادس. ويقول: "كنت أذهب إلى المدرسة وأنا جائع، بدون إفطار. لم نكن نستطيع تحمل ثمن الطعام، فكيف نوفر لوازم المدرسة؟ القلم يكلف 500 ريال والدفتر 1000 ريال—لا نستطيع تحمل هذا." كما يتذكر تعرضه للتمييز في المدرسة، ليس فقط من زملائه، بل من المعلم أيضًا، مما صعب عليه الاستمرار.

مراد، 14 عاماً، ترك المدرسة ويعمل الآن في تنظيف الشوارع لإعالة أسرته.

إسماعيل، 12 سنة
عدن

> **"في أول يوم عمل لي، شعرت بالخجل أكثر من التعب."**

رغم أنه لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، أصبح إسماعيل العمود الفقري لعائلته المكونة من اثني عشر فردًا.

لم يدخل المدرسة يومًا. بل يبدأ نهاره عند الفجر، باحثًا وسط أكوام القمامة في حر عدن اللاهب عن عبوات بلاستيكية يبيعها. العمل ليس سهلًا، بل مليء بالمخاطر. فكثيرًا ما يتعرض الأطفال الذين يجمعون الخردة للمضايقات أو الصراخ أو حتى الضرب. أما أكثر ما يخيف إسماعيل، فهو الكلاب الضالة.

مقابل ست ساعات من البحث، يجني إسماعيل ما بين 2000 إلى 3000 ريال—وهو بالكاد ما يكفي لشراء وجبة الغداء للعائلة.

وبعد الظهر، ينتقل إلى عمله الثاني: في المقبرة، حيث يساعد مع إخوته الأصغر سنًا المشيعين بحمل الماء أو الأدوات أثناء مراسم الدفن مقابل بقشيش بسيط. لكن هذا العمل أيضًا يثير الخوف في نفسه.

يقول: "في مرة، طُلب مني إحضار مجرفة في الليل. ذهبت، وسمعت أصواتًا غريبة أخافتني. رأيت تلك الأصوات لاحقًا في أحلامي."

ومنذ ذلك اليوم، يرفض الذهاب إلى المقبرة ليلًا. ومع كل ذلك، لا يزال إسماعيل متمسكًا بالأمل. يقول: "أريد أن أذهب إلى المدرسة. أريد أن أتعلم وأساعد عائلتي وأحسن وضعنا."

تعيش عائلة إسماعيل في مأوى هش ضمن أحد الأحياء العشوائية في أطراف عدن. وفي المدن اليمنية الكبرى، تعيش آلاف العائلات من المهمشين في عشوائيات مبنية من أغطية بلاستيكية مهترئة، وطرابيل قديمة، وأحجار وأخشاب، لا تكاد تُعدّ مأوى. هذه المساكن لا توفر أي حماية من المطر أو الحرارة أو الأمراض، وتفتقر إلى أبسط مقومات الحياة من مياه نظيفة أو مراحيض أو شبكات صرف.[21] تعيش أكثر من 600 عائلة في الحي الذي يقطنه إسماعيل.

أصوات الأمل

وسط المعاناة والتمييز والكفاح اليومي من أجل البقاء، يرفض بعض أطفال المهمشين الاستسلام. بشجاعة لافتة، بدأوا في رفع أصواتهم – ليس فقط من أجل أنفسهم، بل أيضًا نيابة عن أصدقائهم، وإخوتهم، وآلاف الأطفال الآخرين الذين يشبهونهم.

أحمد، 16 عامًا
أبين

"أريد لها أن تحقق حلمها."

ليس كل النشطاء يملكون منبرًا. بعضهم يعمل في صمت وبدون أي تقدير—مثل فتى يبلغ من العمر 16 عامًا من أبين يعمل لضمان أن تتمكن شقيقته الصغيرة، نادية، من الذهاب إلى المدرسة. كان أحمد في الصف السادس عندما ترك المدرسة. لم يكن القرار صعبًا أو محيرًا، كما يقول. "لم نكن نستطيع تحمل تكاليف المدرسة—المواصلات، والكتب، والدفاتر. وشعرت أن من واجبي أن أتحمل مسؤولية عائلتي."

بدأ أحمد العمل بنقل البضائع على عربة يجرها حمار في شوارع بلدته. كان يحلم يومًا ما بأن يصبح معلمًا. أما الآن، فقد تغير حلمه: أن يرى إخوته—وخاصة نادية—يكملون تعليمهم.

لم تتمكن نادية، شقيقته البالغة من العمر 12 عامًا، من الذهاب إلى المدرسة لفترة أيضًا، لأن الأسرة لم تكن تملك ثمن اللوازم الدراسية التي تحتاجها. ولكن بفضل عمل أحمد ودعم برنامج التعليم المسرع من قبل منظمة إنسانية، بدأت نادية تعوض ما فاتها وتأمل في العودة إلى المدرسة الرسمية قريبًا.

تدرس نادية بجد وتحلم بأحلام كبيرة. تقول: "سأصبح طبيبة عندما أكبر". ويقول أحمد، وابتسامة كبيرة تعلو وجهه: "أنا فخور بها جدًا".

خالد، 16 عامًا
تعز

> **نحن، أطفال المهمشين، نريد أن يرانا الآخرون.**

واجه خالد كل التحديات التي يمر بها أقرانه. يبدأ يومه الدراسي بعبور خطوط التماس للوصول إلى مبنى بالكاد يُعتبر مدرسة — منزل مهجور ومتهالك بلا نوافذ أو أبواب، ولا يوفر حماية من برد الشتاء القارس أو حر الصيف اللاهب. فقد دُمرت المدرسة الأصلية بسبب النزاع.

داخل المدرسة، لا يُقابل دائمًا بالترحيب. لا تزال لحظة معينة تؤلمه: قال له أحد الطلاب ذات يوم أن يعود إلى منزله لأنه سيُوسخ المدرسة. يقول خالد: "شعرت بالخجل والحزن والإحباط والظلم. كان شعورًا قبيحًا." أحيانًا، كان ينضم إلى مجموعة من الطلاب، ثم يشاهدهم وهم يغادرون بمجرد اقترابه.

لكن التغيب عن المدرسة ليس خيارًا بالنسبة له — لأنه، كما يقول، التعليم ليس فقط حقه، بل هو أيضًا طريقه الوحيد نحو العدالة.

والدة خالد — وهي معلمة — تُعد مصدر قوته الأكبر. فقد واجهت صعوبات مماثلة في طفولتها: الفقر والتمييز. يقول خالد: "أمي تُلهمني. لم تستسلم أبدًا، لذلك لن أستسلم أنا أيضًا."

خالد ليس مجرد طالب — بل هو أيضًا مدافع عن حقوق الأطفال. فهو عضو في مجموعة من الأطفال اختاروا المطالبة بحقهم في التعليم. وقد التقوا بالسلطات المحلية للمطالبة بمدارس أكثر أمنًا وشمولًا. يقول خالد إنه يشعر بالفخر لتمثيل أطفال المهمشين في هذه المجموعة.

"التعليم هو الطريقة الوحيدة لتغيير نظرة الناس إلينا،" يقول. "إذا أصبح أطفال من مجتمع المهمشين معلمين وأطباء ومحامين، فسيتعين على الناس احترامنا."

أما عن حلمه الشخصي، فيقول خالد إنه يريد أن يصبح "قاضيًا". ويضيف: "أريد أن أحكم بالعدل بين الناس — لا على أساس أصولهم، أو مظهرهم، أو عائلاتهم... فقط بعدل."

خالد يتحدث خلال ورشة عمل حول حقوق التعليم لأطفال المهمشين.

فرح، 18 عامًا
أبين

"التعليم درع لأطفال المهمشين."

رغم العديد من الصعوبات، بما في ذلك نشأتها في أسرة مفككة، أكملت فرح تعليمها بفضل والدتها التي عملت بلا كلل كمعيلة للعائلة وأكبر داعمة لها. هذا التشجيع الثابت دفع فرح للبقاء في المدرسة والحلم بمستقبل أفضل.

رغم أنها كانت تأمل في دراسة الطب لتصبح طبيبة نسائية، إلا أن الظروف المالية جعلت من الصعب دخول الجامعة. وبدلاً من ذلك، التحقت ببرنامج في معهد صحي لمدة عامين لتتدرب كقابلة—أقرب ما يمكن لحلمها. وهي الآن في سنتها الدراسية الأولى.

فرح شغوفة بالتعليم، وتؤمن بأنه الوسيلة الأقوى لمساعدة الأطفال على كسر دوائر الفقر والتمييز، خاصة بالنسبة لأسر المهمشين. بدأت مبادرة لنشر التعليم في قريتها، بدأت منذ أن كانت في المرحلة الإعدادية واستمرت في التوسع.

الآن، وبعد انتهاء دوامها في المعهد الصحي كل يوم، تخصص فرح وقتها لتعليم الأطفال في منزلها. تقدم دروسًا للأطفال المتأخرين في دراستهم وتدير دروس محو أمية للأمهات حتى يتمكنّ من دعم تعليم أطفالهن. تساعد فرح حاليًا حوالي 30 طفلًا و20 أمًا.

كما تساعد الأطفال والأسر على تجاوز العقبات التي تعيق التعليم، مثل النقص المزمن في الكتب المدرسية.[22] ومن أجل معالجة هذا، بدأت بجمع الكتب من الجيران والمدارس الخاصة لتوزيعها على الأطفال المحتاجين.

تقول فرح: "التعليم هو الوسيلة لتغيير النظرة التقليدية للناس—بأن الأولاد يجب أن يعملوا، والبنات يجب أن يتزوجن أو يبقين في المنزل. تجربتي الشخصية كانت دافعي. وهذا هو ما يدفعني إلى الاستمرار".

ولتجعل تجربة التعليم للأطفال والأمهات أكثر تأثيرًا، توزع فرح شهادات في نهاية كل دورة حتى وإن كانت غير رسمية وغير معترف بها. وتشرح: "معظمهم لم يحصلوا على أي شهادة في حياتهم، وهذا يجعلهم يشعرون بالفخر والتحفيز".

لقد ساعدت جهودها بالفعل العديد من الأطفال والأسر في قريتها. ومع مرور الوقت، توسعت مبادرتها لتشمل توزيع الملابس والغذاء على الأكثر احتياجًا.

وتقرّ فرح بأن الوضع الاقتصادي الصعب أثّر على التبرعات، مما جعل عملها أكثر تحديًا. لكنها لا تزال مستمرة، مدفوعة بامتنان المجتمع. بعض الأطفال يطلقون عليها لقب "ماما فرح".

تقول: "مكافأتي هي أن أرى الأطفال المهددين بترك المدرسة يواصلون تعليمهم ويحصلون على ما يحتاجون إليه للاستمرار في التعلم".

عائلة فاطمة وكل قريتها فخورون بإصرارها وإيمانها بأن كل طفل، رغم الفقر والتمييز، يستحق فرصة للتعلم والحلم.

التوصيات

في ظل تدهور الأوضاع الإنسانية نتيجة لنقص التمويل واستمرار النزاع، هناك حاجة ملحة لتضافر الجهود بين الجهات الإنسانية – بما في ذلك المانحين والمنظمات غير الحكومية – والسلطات اليمنية من أجل حماية أطفال المهمشين، الذين يواجهون مخاطر غير متكافئة ناجمة عن الفقر والتمييز وضعف الوصول إلى الخدمات.

1. ضمان الوصول المتكافئ إلى التعليم الآمن والجيد وبيئات تعلم أكثر أماناً لأطفال المهمشين

ينبغي على السلطات المحلية والجهات الإنسانية:

- الدعوة إلى تطوير وتطبيق سياسات مدرسية شاملة تحظر التمييز بشكل صريح وتعزز احترام التنوع المجتمعي وذلك كجزء من الجهود الأوسع لتعزيز التماسك الاجتماعي بين المهمشين والمجتمعات الأخرى.
- توفير تدريب وتطوير مهني مستمر للمعلمين وكافة الكوادر المدرسية على ممارسات مناهضة للتمييز وشاملة لمنع التنمر والإقصاء الاجتماعي داخل الفصول الدراسية.
- تقديم خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي للأطفال والشباب، وربطهم بخدمات إضافية عند الحاجة وتوفرها.

2. توسيع خيارات التعليم المرنة والآمنة لأطفال المهمشين والنازحين

ينبغي على الجهات الإنسانية:

- وفير تقييم تعليمي للأطفال المهمشين والنازحين عند عودتهم إلى التعلم، بهدف تصميم تدخلات شاملة ومستهدفة تشمل حصص تعويضية، وبرامج علاجية، وبرامج تسريع التعليم. ويجب أن تكون هذه البرامج مرنة لتتناسب مع النزوح المتكرر والانقطاعات التعليمية.
- الاستثمار في مساحات تعلم غير رسمية ومراكز تعليم مؤقتة في التجمعات العشوائية ومخيمات النزوح، على أن تكون آمنة وقريبة وتوفر مسارات للانتقال إلى التعليم الرسمي.

3. دعم الوصول إلى الوثائق المدنية والهوية القانونية

ينبغي على السلطات:

- مراجعة السياسات الحالية لتسجيل المواليد، ووضع إجراءات مرنة وميسّرة، خصوصاً للأطفال النازحين والمهمشين، لتجاوز العقبات البيروقراطية التي تعيق وصولهم إلى الخدمات الأساسية كالتعليم والحماية والرعاية الصحية.
- إنشاء إجراءات إدارية طارئة تتيح تسجيل الأطفال في المدارس حتى أثناء انتظار استكمال وثائقهم.

وينبغي على الجهات الإنسانية:

- زيادة الدعم لخدمات المساعدة القانونية، بما في ذلك إدماجها ضمن برامج حماية الطفل، لمساعدة الأسر على تجاوز العراقيل الإدارية.

4. تعزيز الحماية الاجتماعية للأسر التي تعاني من الفقر المدقع

ينبغي على الجهات الإنسانية:

- إدخال أو توسيع برامج التحويلات النقدية المرتبطة بالتعليم أو تقديم دعم مدرسي للأسر الأكثر ضعفاً لتغطية الرسوم المدرسية والنقل والزي والمواد التعليمية.
- إعطاء الأولوية لدعم سبل العيش لمقدمي الرعاية للتقليل من الضغوط الاقتصادية التي تدفع الأطفال إلى سوق العمل.

5. معالجة التمييز والأعراف الاجتماعية من خلال المناصرة والحوار المجتمعي

ينبغي على السلطات والجهات الإنسانية:

- إطلاق حملات توعية تتحدى المواقف التمييزية تجاه المهمشين وتروج للتعايش السلمي.
- تعزيز المشاركة المدنية الشاملة لدعم المساواة في المدارس والمجتمعات من خلال تمكين الأطفال المهمشين من التعبير عن أنفسهم بأمان، والتعاون مع الزعماء الدينيين والقبليين والمحليين لتعزيز الإدماج.

6. حماية الأطفال من العمل الخطر ومخاطر الحماية

ينبغي على الجهات الإنسانية:

- توسيع خدمات حماية الطفل التي تحدد وتدعم الأطفال العاملين، خاصة المنخرطين في جمع النفايات الخطرة.
- إعطاء الأولوية لتمويل البرامج المتكاملة التي تعالج الأسباب الجذرية لعمالة الأطفال الخطرة من خلال الجمع بين التعليم والحماية ودعم سبل العيش الأسرية لتقليل تعرض الأطفال للخطر وكسر حلقة التهميش.

الحواشي

[1] Minority Rights Group, Muhamasheen in Yemen. https://minorityrights.org/communities/muhamasheen/
[2] NRC, Access to legal identity and civil documentation among the Muhamahsheen in Yemen, March 2024. https://reliefweb.int/report/yemen/access-legal-identity-and-civil-documentation-among-muhamahsheen-yemen-march-2024?utm_source=chatgpt.com
[3] OCHA, Yemen Humanitarian Needs and Response Plan 2025 (January 2025). https://www.unocha.org/publications/report/yemen/yemen-humanitarian-needs-and-response-plan-2025-january-2025
[4] Relief Web, Yemen: Groundbreaking UNICEF survey reveals enormous welfare gap between Al-Akhdam and the general population, 2015. https://reliefweb.int/report/yemen/yemen-groundbreaking-unicef-survey-reveals-enormous-welfare-gap-between-al-akhdam-and
[5] ReliefWeb, Yemen Protection Brief, 9 February 202. https://reliefweb.int/report/yemen/yemen-protection-brief-january-2021#:~:text=In%20view%20of%20the%20funding,crises%20to%20watch%20in%202021.
[6] Relief Web, Yemen: Groundbreaking UNICEF survey reveals enormous welfare gap between Al-Akhdam and the general population, 2015. https://reliefweb.int/report/yemen/yemen-groundbreaking-unicef-survey-reveals-enormous-welfare-gap-between-al-akhdam-and
[7] OCHA, Yemen Humanitarian Needs and Response Plan 2025 (January 2025). https://www.unocha.org/publications/report/yemen/yemen-humanitarian-needs-and-response-plan-2025-january-2025
[8] Save the Children, Hanging in the Balance; Yemeni Children's Struggle for Education, March 2024. https://www.savethechildren.net/news/yemen-nine-years-conflict-and-two-years-truce-school-dropouts-soar
[9] The Minimum Food Basket (MFB) refers to the cost of essential food items needed to sustain a family of seven for one month. Yemen Minimum Expenditure Basket (MEB) and Multipurpose Cash Assistance (MPCA). https://calpnetwork.org/wp-content/uploads/2024/09/Yemen-MEB-and-MPCA-Transfer-Value-Calculation-Guidance_Final.pdf?utm_source=chatgpt.com
[10] ACAPS, Yemen Joint Monitoring Report, June 2025. https://www.acaps.org/fileadmin/Data_Product/Main_media/20250611_ACAPS_Yemen_joint_monitoring_report_issue_9_.pdf?utm_source=chatgpt.com
[11] The estimated figure of 688,000 children without birth certificates refers to all of Yemen. However, Muhamasheen children make up a significant proportion of internally displaced children and are therefore likely to be disproportionately affected.
[12] Minority Rights Group, Muhamasheen in Yemen. https://minorityrights.org/communities/muhamasheen/
[13] USDOL, 2022 Findings on the Worst Forms of Child Labor: Yemen, 26 September, 2023. https://www.ecoi.net/en/document/2098545.html?utm
[14] Equivalent to 2 to 2.3 USD. 1 USD equals 2,500 Yemeni Rials at the time of the interview.
[15] OCHA, Yemen Humanitarian Needs and Response Plan 2025 (January 2025). https://www.unocha.org/publications/report/yemen/yemen-humanitarian-needs-and-response-plan-2025-january-2025
[16] NRC, Forced eviction analysis in managed IDP sites: A focus on Marib Governorates, December 17, 2024. https://www.nrc.no/resources/reports/forced-eviction-analysis-in-managed-idp-sites-a-focus-on-marib-governorates?utm_source=chatgpt.com
[17] OCHA, Yemen Humanitarian Needs and Response Plan 2025 (January 2025). https://www.unocha.org/publications/report/yemen/yemen-humanitarian-needs-and-response-plan-2025-january-2025
[18] ACAPS, Local perspectives on vulnerability and resilience, April 2, 2024. https://www.acaps.org/fileadmin/Data_Product/Main_media/20240402_ACAPS_Yemen_Analysis_hub_Local_perspectives_on_vulnerability_and_resilience_in_Yemen.pdf
[19] Civilian Impact monitoring Project
[20] OCHA, Yemen Humanitarian Needs and Response Plan 2025 (January 2025). https://www.unocha.org/publications/report/yemen/yemen-humanitarian-needs-and-response-plan-2025-january-2025
[21] Khuyut ,»The ‹Mahawi›... The Lives of Black People in Yemen Are ‹Not Considered Important›, August 2020. https://www.khuyut.com/blog/08-29-2020
[22] The country's education authorities have been struggling to provide educational resources including school textbooks. This forces many parents across Yemen to purchase them through the black market. The total costs of the books needed for one school year ranges between 12 USD and 20 USD.
Save the Children, Hanging in the Balance; Yemeni Children's Struggle for Education, March 2024. https://www.savethechildren.net/news/yemen-nine-years-conflict-and-two-years-truce-school-dropouts-soar